

دلائل الإعجاز

فيه وإِذْ أَعْلَمَ . أَعْنِي مِثْلَ قَوْلِهِ تَعَالَى : (هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَافِرِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ . إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ . فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ . فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ . فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ) جَاءَ عَلَى مَا يَقَعُ فِي أَنْفُسِ الْمَخْلُوقِينَ مِنَ السُّؤَالِ . فَلَمَّا كَانَ فِي الْعُرْفِ وَالْعَادَةِ فِيمَا بَيْنَ الْمَخْلُوقِينَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ : دَخَلَ قَوْمٌ عَلَى فَلَانٍ فَقَالُوا كَذَا أَمْ يَقُولُوا : فَمَا قَالَهُ هُوَ وَيَقُولُ الْمَجِيبُ : قَالَ كَذَا أَخْرَجَ الْكَلَامَ ذَلِكَ الْمُخْرَجَ لِأَنَّ النَّاسَ خُوطِبُوا بِمَا يَتَعَارَفُونَهُ وَسُلِّكَ بِاللَّفْظِ مَعَهُمَ الْمَسْلُوكُ الَّذِي يَسْلُكُونَهُ . وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ : (قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ) وَذَلِكَ أَنَّ قَوْلَهُ : (فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ) يَقْتَضِي أَنْ يُتَّبَعَ هَذَا الْفِعْلُ بِقَوْلٍ فَكَأَنَّهُ قِيلَ وَإِذْ أَعْلَمُ : فَمَا قَالَ حِينَ وَضَعَ الطَّعَامَ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ فَأَتَى قَوْلُهُ : (قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ) جَوَابًا عَنْ ذَلِكَ . وَكَذَا (قَالُوا لَا تَخَفْ) لِأَنَّ قَوْلَهُ : (فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً) يَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ كَلَامٌ فِي تَأْنِيْسِهِ وَتَسْكِينِهِ مِمَّا خَاَمَرَهُ . فَكَأَنَّهُ قِيلَ : فَمَا قَالُوا حِينَ رَأَوْهُ وَقَدْ تَغَيَّرَ وَدَخَلَتْهُ الْخِيفَةُ فَقِيلَ : قَالُوا لَا تَخَفْ وَذَلِكَ وَإِذْ أَعْلَمَ الْمَعْنَى فِي جَمِيعِ مَا يَجِيءُ مِنْهُ عَلَى كَثَرَتِهِ كَالَّذِي يَجِيءُ فِي قِصَّةِ فِرْعَوْنَ عَلَيْهِ اللَّعْنَةُ وَفِي رَدِّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ كَقَوْلِهِ : (قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ . قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ . قَالَ لَمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمْعُونَ . قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ . قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ . قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ . قَالَ لَمَنْ اتَّخَذَتْ إِلَهًا غَيْرِي لِأَجْعَلَنَّكَ مِنْ الْمَسْجُونِينَ . قَالَ أَوْ لَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ . قَالَ فَأْتِ بِهِ . إِنَّ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ) جَاءَ ذَلِكَ كُلُّهُ وَإِذْ أَعْلَمُ عَلَى تَقْدِيرِ السُّؤَالِ وَالْجَوَابِ كَالَّذِي جَرَتْ بِهِ الْعَادَةُ فِيمَا بَيْنَ الْمَخْلُوقِينَ فَلَمَّا كَانَ السَّامِعُ إِذَا سَمِعَ الْخَبَرَ عَنْ فِرْعَوْنَ بِأَنَّهُ قَالَ : وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ وَقَعَ فِي نَفْسِهِ أَنْ يَقُولَ : فَمَا قَالَ مُوسَى لَهُ أَتَى قَوْلُهُ : (قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) مَا أَتَى الْجَوَابَ مُبْتَدَأً مَفْصُولًا غَيْرَ مَعْطُوفٍ . وَهَكَذَا التَّقْدِيرُ وَالتَّفْسِيرُ أَبَدًا فِي كُلِّ مَا جَاءَ فِيهِ لَفْظُ " قَالَ " هَذَا الْمَجِيءُ . وَقَدْ يَكُونُ الْأَمْرُ فِي بَعْضِ ذَلِكَ أَشَدَّ وَضُوحًا .

فَمَّا هَوَى فِي غَايَةِ الْوُضُوحِ قَوْلُهُ تَعَالَى : (قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا

الْمُرْسَلُونَ . قَالُوا إِنَّا

